عبد السلام محمد هارون

تهذيب

الحيوان للجاحظ

الناشر

مكتبة الخانجي بالقاهرة   دار الرفاعي بالرياض

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

رقم الإيداع : ٤١٩٣ / ٨٣

الترقيم الدولى : ٣ - ٠٠٧ - ٥٠٥ - ٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالجاحظ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر ، الملقب بالجاحظ . قالوا : سمِّىَ بذلك لأن عينيه كانتا جاحظتين ، أى بارزتين .

وكان مولد الجاحظ بالبصرة سنة ١٥٠ فى زمان الدولة العباسية ، وعاش بالعراق زمناً طويلا فى عصر زاخر بالعلم والفن والأدب ، وتلقَّى علمه من أفواه شيوخ البصرة والكوفة ، الذين كان من أعلامهم أبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، والأصمعى عبد الملك بن قُرَيب ، وأبو زيد الأنصارى ، وأبو الحسن الأخفش . كما كان شيخَه فى علم الكلام والفلسفة أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام .

وكان الجاحظ يقصد أحياناً إلى المِرْبد ، وهو موضع كان بظاهر البصرة تفد إليه الأعراب من البوادى للتجارة وتبادل السلع ، كما يلتقى فيه الشعراء والرجاز ، والخطباء ، والرُّواة ، والنسَّابون ، فيعرضون نتاج أفكارهم ، وروائع آثارهم ، على شيوخ النقد وصيارفة الأدب .

وأتيحت للجاحظ فرصة الاطلاع على كتب الفلاسفة والأطبَّاء والمتكلمين ، كما لم تخلُ ثقافته من عناصر يونانية وفارسية .

قال أبو هِفَّان : « لم أر ولا سمعتُ من أحبَّ الكتب والعلومَ أكثرَ من الجاحظ ؛ فإنه لم يقع بيده كتاب إلاّ استوفى قراءته كائناً ما كان » .

وأتم الجاحظ ثقافته كذلك برحلته إلى دمشق وأنطاكية وغيرهما من البلدان .

ثم رحل إلى بَغْدَاد وهو فى الخمسين من عمره واتَّخذها له مقاما ؛ وكان ذلك فى عصر المأمون سنة ٢٠٤ ، وتصدَّى للتعليم والمناظرة ؛ فقصده الأدباء والعلماء ، وأمَّه الطُّلاَّب من كل صَوْب .

ولما ذاع فَضلُه ، وانتشر صيتُه ، وعُرِفت مؤلَّفاته ، أقبلتْ عليه الدنيا ، وصارت له وظائفُ ماليّة يتقاضاها من دارِ الخلافة فى كل شهر ؛ وولى ديوانَ الرسائل فى عهد المأمون ، ولم يمكثْ به إلاّ ثلاثة أيام ثم بادر إلى الاستعفاء والاعتذار ، زُهْداً منه فى قَيْد الوظيفة ، وإيثاراً للحرية والعافية .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك ، ابن الزيات ، وزير المعتصم ، وإليه أهدى كتاب « الحيوان » فكافأه بخمسة آلاف دينار ، وهو مالٌ عظيم له قدره فى ذلك العصر القديم .

وفى أواخر عهد الخليفة المتوكّل مَرِض الجاحظ ، وظَلَّ مفلوجا نحو ثمانى سنوات بين سنتى ٢٤٧ و ٢٥٥ . قال تلميذه أبو العباس المبرد : عُدت الجاحظ فسمعتُه يقول : أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرِض بالمقاريض ما علمتُ ، ومن جانبى الأيمن مُنَقْرس (١) ، فلو مرَّ بى الذبابُ لألِمْتُ . وأشدُّ ما علىَّ ستٌّ وتسعون — يعنى عمره !

وما زال فى علّته تلك حتّى وقَعَتْ عليه مجلدات العلم ، فكانت خاتمة حياته سنة ٢٥٥ فى أيام الخليفة المعتز بالله .

(١) أى مصاب بداء النقرس ، وهو ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين .

كتب الجاحظ :

عاصر الجاحظ ثلاثةٌ عُرفوا بكَثْرَة التأليف ، أحدهم أبو عبيدة مَعْمر بن المثنَّى (١١٠ - ٢٠٩) ، الذى بلَغَتْ مؤلفاتُه مائةَ مؤلَّف وخمسة .

والثانى أبو الحسن على بن محمد المدائنى (١٣٥ - ٢٥٥) ، وقد ألَّف نحو مائتين وأربعين مصنَّفا .

والثالث هشام بن محمد الكَلْبِى المتوفى سنة ٢٠٦ ، وله نحو مائة وأربعين مؤلفا .

وكان للجاحظ فى هؤلاء الرَّهْط أسوةٌ وحافزٌ فى المسابقة والمنافسة ، إلى ما وهب له الله من لَسَنٍ واقتدار ، ومن ذكاءٍ خارق نفَّاذ ، وذاكرةٍ فى العلم قويَّة ، وولوع بالمعرفة والتبيُّن ، وإلى ما وهب له من عُمْر مديدٍ فى دولة ناهضة ، فأخرج للمكتبة العربية زُهَاءَ [1] ثلثمائةٍ وستين مؤلفاً فى ضروبٍ شتَّى من العلم . وقد فُقِد الجمهور الأعظم منها بفعْلِ عَوَادِى الزمن وآثار الحروب المدمِّرة .

صنع الجاحظ هذه الكتب جميعا ، ولم يكن همُّه هَمَّ غيره من المؤلِّفين فى الجَمْعِ والرواية والحِفْظ ؛ وإنما كان مَنْهَجُه أنْ يبتِكرَ وأن يأتىَ بالطريف ، وأن يَخْلُقَ للناس بديعاً ، يمسح على جميعها بالدعابة والهَزْل ، ويُشِيع الفكاهةَ فى أثناء الكلام ؛ فجمع بذلك قلوب الدارسين إليه .

ويُعَدُّ الجاحظ من طليعة الأدباء الذين مزجوا الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية .

---

(١) زهاء : قدر .

وطَرَق الجاحظ فى كتابته أبواباً عجيبة ، وتقرَّبَ إلى العامة ، وحَرَص أشدَّ الحِرْصِ على استرضائهم . ولم يَنْسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية والسياسات الرفيعة ، وفى ذلك يقول أبو الفضل ابن العميد : « كُتُب الجاحظ تُعَلِّم العقْل أولاً والأدبَ ثانيا » .

ويقول عبد الله بن حَمُّود الزُّبيدى الأندلسى : « رضِيتُ فى الجنة بكتب الجاحظ عِوَضاً عن نعيمها ! » .

ويقول الجاحظ : ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة فوجدها على ما أمَرَ به ؛ وصِرتُ إليه – وكان قد أمرَ اليزيديَّ بالنظر فيها ليخبره عنها – قال لى : قد كان بعضُ من نرتضى عقلَه ونصدِّق خبَره خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصَّنْعة وكثْرَة الفائدة ، فقلت : قد تُرْبِى [1] الصفةُ على العِيان . فلما رأيته رأيتُ العِيان قد أربَى على الصفة ، فلَّما فليتُها [2] أرْبى الفَلْىُ على العِيان ، كما أربى العيان على الصفة !!

أشهر كتبه :

وأشهر كتبه كتاب البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكتاب البخلاء ، ورسالة التربيع والتدبير .

كتاب الحيوان :

سبق اليونانيون أسلافَنا العربَ إلى التأليف فى علم الحيوان ، وألفوا فى ذلك كتبا ؛ منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسطاليس ، نقله ابن البطريق قديماً من اليونانية إلى العربية ، كما ترجم حديثاً إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية وغيرهما .

---

(١) تربى : تزيد

(٢) أى فتشتها

ونستطيع أن نقول : إن الجاحظ أول واضع لكتابٍ عربيٍّ جامع فى علم الحيوان ، وقد كان قبله وفى عصره محاولات شتّى لطائفة من العلماء يتحدّثون فيها عن الحيوان ، منها كتاب الإبل للسجستانى ، والأصمعى ، وأبى عبيدة وغيرهم . وكتاب الخيل لابن الأعرابى ، وأبى عبيدة ، وابن الكلبى . وكتاب الوحوش للأصمعى ، وأبى زيد ، والسجستانى . وكتاب الطَّيْر للسجستانى ، والنضر بن شميل . وكتاب النحل والحشرات للسجستانى . وكتاب النَّحل والعسل للأصمعى .

وهذه الكتب لم تؤلف للقصد العلمى الخالص ، وإنما أُرِيدَ بها أن تكون باحثة فى اللغة أوّلا ، فهى بمثابة معجمات لغوية خاصة بما ألفت له ، وهى لا تبحث فى طبع الحيوان وخصائصه بحثا ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه ، وأحواله وعاداته ، وإنما تجعل همَّها الأول هو اللغة .

أما الجاحظ فكتابُه ينطق بالقَصْد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكل مملكة من ممالكه ، ولكل جنسٍ من أجناسه ، وهو فضلٌ للجاحظ على جميع مَنْ سبقَه أو عاصَرَه ممن كتب فى الحيوان . وإن كان قد أعوزَه بعضُ الترتيب والتهذيب ، فذلك شأن كل كتابةٍ جديدة فى أمر متشعِّب الأطراف ممدودِ النواحى .

مراجع كتاب الحيوان :

اعتمد الجاحظ على أمور خاصة رئيسة فى تأليف كتابه :

أولها : الينبوع الذى لا ينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده : الشعر العربى . فالشعر العربى وبخاصة البدوىُّ منه قد تحدَّث فى الحيوان حديثاً طويلا ، تحدث فى الأنيس

منه ولم يهمل الوحشى ، بل جمع بين هذا وذاك ؛ فالعرب تكلّموا على الإبل فى شعرهم ، وأسهبوا الكلام ، وتحدَّثوا فى نَعْتِها فلم يذروا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حَمْلها ونتاجها ، ورأْمِها [1] وحنينها ، وحَلْبِها وألبانها ، وألوانِها وأنسابها ، وأصواتِها ودُعائها ، ورَعْيِها وشربها ، وسيرها وسُرَاها .

وكان لهم فى الخيل نَعتٌ مفصَّل ، وعناية بمثل ما اعتنوا به فى الإبل .

ووفَوا كذلك لكلابهم وشَائِهم ، ولا تكاد تجد قصيدةً معدودة للعرب إلا وللحيوان الأنيسِ فيها شأن .

أما الوحشيات – وفَلَوَاتهم مواطنُ غنيةٌ بها – فلم يُغْفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد والنمر ، والذئب والثعلب وغيرها . وذكروا من الطيور النسور والعِقبان والرَّخَم ، والحِدأ والقطا والحَجَل .

والجاحظُ يرى أنَّ العربَ – والأعراب منهم خاصة – قد ثَقِفُوا معرفة الحيوان ، وبَرَعوا فى ذلك البراعَة ، واستوعبوا حاله وعادَهُ . وفى ذلك يقول :

« وقَلَّ معنىً سَمِعنْاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأْناه فى كتب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن قد وجدناه أو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وهو يُظهر السبب فى جودة معرفة الأعراب للحيوان بقوله :

« وربما ، بل كثيراً ما يُبْتَلَوْنَ بالناب والمِخْلَبِ ، واللَّدْغ واللَّسْع ، والعَضّ والأكل ؛ فخرجْت بهم الحالُ إلى تعرُّف حال الجانى والجارح والقاتل وحال المجنىّ عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطلبُ والهرب ، وكيف الداء والدواء ؛ لطول الحاجة ، ولطول وقوع البصر » .

---

(1) رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

وللجاحظ ثقةٌ تامة بالشعر العربى ، فهو يصدِّره فى الرد على أرسطو ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قولَ أرسطو فى عقوق العقاب : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها . فأما أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دُرَيْد بن الصِّمَّة :

وكلّ لَجوجٍ فى العِنـان كأنها إذا اغتمست فى الماء فَتْخَاء[1] كاسِرُ
لها ناهضٌ[2] فى الوَكْر قد مهدت له كما مهدت للبَعل حَسْنَاءُ عَاقِرُ

والمادة الثالثة من مواد الكتاب هى كتاب الحيوان لأرسطو الذى يلقِّبه الجاحظ بصاحب المنطق . وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة والنفاسة بمكان عظيم . وقد تعرض كثير من هذه النصوص لنقد الجاحظ . وأحياناً يعتذر عنه بأن المترجمين لم يحسنوا النقل ولم يتوخَّوُا الدقة والمطابقة ، فهو يقول :

« ولعل المترجم قد أساء فى الإخبار عنه » . ويقول : « فكيف أسكُنُ بَعدَ هذا إلى أخبار البحريِّين وأحاديث السماكين ، وإلى ما فى كتاب رجلٍ – يعنى أرسطو – لعله إن وجد هذا المترجمَ أن يقيمه على المِصْطبة[3] ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته » .

والمادة الرابعة من موادّ الكتاب ، هى تلك المحاولة وذلك الكلام الذى ولَّده المعتزلة . وقد دفع بهم ذلك التيارُ العارم إلى مواطنَ شتى من نواحى الحِجَاج والجَدَل . وكأنَّما خلق اللّٰهُ كلَّ رجلٍ من أهل الاعتزال لساناً دائبَ التصرف والعمل ، فهم إن فرغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى

---

(١) الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح .
(٢) الناهض : فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران .
(٣) المصطبة : بناء مرتفع يجلس عليه .

التعديل والتجوير (١) ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السانحة والخاطرة ، وفيما يبدو للعين أنه دقيق مَهين .

والكتاب معرض طريف لهذه المنازعات الكلامية ، ولا سيما الجزأين الأول والثانى منه . فكثيراً ما يجدُ القارىء : « قال صاحب الكلب » ، و « قال صاحب الديك » ، و « قال صاحب الحمام » .

ويبدو أيضاً أنه كان فى عصر الجاحظ نزاع كلامىّ خاص فى المقايسة بين الكلب والديك يتقدم الفريقَ الأول أبو إسحاق إبراهيم النظام ، ويتزعم الآخر مَعْبَد .

كما أن بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضرب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلمين ، بعين التعجب والاستنكار . وقد ردّ عليهم الجاحظ رداً مُسْهباً صدَّره بقوله :

« فإن قلت : وأىُّ شىء بلغَ من قَدْرِ الكلب وفضيلة الديك حتى يتفرغَ لِذكْرِ محاسنهما ومساويهما والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيَة المتكلمين ، ومن الجِلّةِ المتقدمين » .

ثم هو ينشىء بعد ذلك دفاعاً صادقاً يستغرق نحو عشر صفحات ، وفيه يحاول أن يقول : إن البحث فى شأن الحيوان ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظَم ما أبدع وبَرَأ .

والمادّة الخامسة من مواد الكتاب هى تلك الخِبْرَة الشخصية ، وذلك الوَلُوع الذى كان يدفع بصاحبنا إلى السؤال ممن يتوسَّمُ فيه العِلْم .

---

(١) التعديل والتجوير : أى الكلام فى نسبة العدل والجور إلى الخالق .

وكان بطبعه شعبياً ، مع أنه كان مقرَّباً نافذ الكلمة عند الوزراء والخلفاء . فهو قد جالسَ الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك قوله : « وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحي الموصل وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدورُ بينهم » .

وهو يتحدث مع صائد العصافير ويقول : « وخبَّرني مَنْ يَصيدُ العَصافير » .

وأحياناً يخالط الحوَّائين ويقف منهم موقف المستمع إلى الشكوى وفي ذلك يقول : « وشكا إليَّ حوَّاء مرة فقال : أفقرني هذا الأسود ومنعني الكَسْب ، وذلك أن امرأتي جهلت فرمت به في جُونةٍ [1] فيها أفاعي ثلاث أو أربع ، فابتلعهن كلَّهن – وأراني حيةً منكَرة » .

قيمة كتاب الحيوان :

لا يعرف فضلَ هذا الكتاب إلا مَنْ نَظَر فيه طويلا ، وتناول نواحيه بالدرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنه قد خُصِّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب ، ولكن الحقَّ أن الكتاب مَعْلَمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف .

فقد حوى الكتاب طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية ، كما تحدّث في سياسة الأقوام والأفراد ، وكما تكَلَّم في نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية .

---

(١) الجونة بضم الجيم : سلة صغيرة مغشاة بالجلد

وتحدث الكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية ، وفى خصائص كثير من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديث فى الأجناس البشرية وتباينها ، وعَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراض الحيوان والإنسان ، وبيان لكثير من المفردات الطبية ، نباتيِّها وحيوانيِّها ومعدنيِّها .

وتحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادِهم ، ومزاعمهم وعلومهم ، كما أفاض القولَ فى آى الكتاب العربى وحديث الرسول العربى ، وكما فصَّل بعض مسائل الفِقْه والدين .

والكتاب كذلك ديوان جمع الصفوة المختارة من حُرِّ الشعر العربى ونادِره ، وناهيك باختيار أبى عثمان . وإن أردت الأمثال فهو قد جمع لك منها القَدْر الكبير ، أو أحببت الحديث فى البيان ونقد الكلام والشعر وجدت ما ترتاحُ إليه نفسك وتطمئن .

أما فكاهة الجاحظ فهذه قد نُثِرَت فى الكتاب نثراً ، وإنها لتطالعك بين الفَيْنَة والأخرى ، متمثِّلة فيما يَروِى من نادرة ، أو يَحكِى من قصَّة .

وأما المجون فلا عليك أن تمرَّ به لتَظْهَرَ لك ناحيةٌ من النواحى التى غلبت على كثير من متأدِّبى عصر الجاحظ التى لم يكن فيها حينئذ حرجٌ ولا خشية .

تهذيب كتاب الحيوان للجاحظ

هذا التراث الخالد الذى انحدر إلينا من ينابيع تاريخنا الثقافى لم تستطع عوادى الأيام ولا عوادى الناس أن تطمس من نوره المتألق ، أو تبلىَ من جِدّته الزاهية ، فعوادى الأيام لا تزيده إلا ضياءً ، وعوادى الناس الذين يبغون بهذه الثقافة العزيزة غوائل الشر ، ويتمَّنون أن يصبحَ الليلُ فلا تبقى على هذه الدنيا من مقومات العروبة آيةٌ أو مَنار — تلك العوادى لم تستطع مع كثرة ما صاحت ، وشدة ما أجلبت ، أن تَخفِضَ من هامة العزّ ، ولا أن تُلِينَ من جانب ذاك الطود الراسى .

ولم أكن أبغى فيما جاهدت وأجاهد من سنين طوال ، إلاّ أن أسوق الإيمان إلى أولئك الجاحدين بثقافتنا ، المنكرين لمجدنا العقلى التليد .

ولقد كنت قديماً جلوت كتاب الحيوان لشيخنا الجاحظ ، وبذلت فيه كل الجهد لأقرِّبه إلى جمهرة العلماء والباحثين ، فكان فيما أخبرنى الناسُ عملا صادقاً ، رجوت أن يكون نافعاً .

ثم بدا لى من بعد أن أجلوَه مرة أخرى لجمهرة الأدباء والشُّداة الذين حال بينه وبينهم صعوبة المنال . فلم يكن بدٌّ من أن أعرضه فى ثوب من التهذيب لا إخلال فيه بنص الكتاب ولا بطريقة تأليفه ، بل هو مساوق لطريقته ، سائر على منهاجه .

وقد اقتضانى هذا الغرض أن أنفى منه ما كان مألوفاً للقارىء فى زمان الجاحظ وما لا ينبغى أن يظهر عليه فى عصرنا هذا إلاّ الباحثون . لأنى أحببت أن يكون هذا الكتاب الخالد طوع يمين الفتى فلا يستثيره ما يستثير

الشباب ، وأن يكون فى خِدر الفتاة الأديبة فلا يخدش خفرها واستحياءها ، بل يكون صاحباً لها أميناً .

وألفيت كثيراً من النصوص الحوشية فى اللغات والأرجاز لا تجدى هؤلاء الشداةَ شيئاً ، فآثرت أن أحتجزها بين طيات كتاب الجاحظ .

كما أنّى تركت المسائل الكلامية والفلسفية ذات التعقيد فى ثنايا كتاب الجاحظ ، لم أنقلها إلى هذا التهذيب .

وأما غير ذلك من فصول الكتاب فقد انتقيتُ أفضلَه فيما أرى ، وأقربَه إلى أدب الأديب ، وثقافةِ القارئ النابه .

وكان من مقتضى الأمانة العلمية ألا أُغيِّرَ على عبارة الجاحظ ، أو أن أتناولها بتبديل أو تغيير ، مهما يكن ذلك التبديل أو التغيير .

فللقارئ أن يقتبس من هذا الكتاب ما يريد أن يقتبس ، منسوباً إلى كتاب الحيوان ، وهو فى أمنٍ وطمأنينة إلى ما يقرأ وما ينقل .

وقد جعلت فى نهاية (الجزء الثانى [1]) من هذا الكتاب دليلاً يصل هذه النصوص بمواضعها من أصل الكتاب فى أجزائه السبعة .

كما عنيت بوضع فهارس فنيّة له لتعين القارئ الباحث فى الانتفاع بهذا التهذيب . وموضعُها كذلك فى نهاية الكتاب .

وأما بعد فهذه هى الحلقة الثانية من سلسلة تهذيب التراث العربى الخالد ، وكانت حلقتها الأولى هى (تهذيب سيرة ابن هشام) ، التى لقيت من تقدير الأدباء والعلماء ترحيباً كريماً حملنى على أن أوالى هذا الجهد لأقرب

---

(١) كان هذا الكتاب فى طبعته الأولى فى جزأين .

هذه الآثار إلى من يحاول المضلون أن يصدوهم عن ماضيهم الثقافى إلى أعاجيبَ من هذا الخَلْق المشيّأ ، لينتزعوهم من عروبتهم إلى أعجمية خالصة ، ليس بها ظل من هذه الثقافة الإسلامية التى لم تكن فى يوم من الأيام بمعزل عن الثقافات المعاصرة ؛ فإنَّ ديننا أن نتناول العلم والثقافة من جميع الاتجاهات لا أن نقصرها على الثقافات الغربية فحسب ، بل نَنْهل من هذا وذاك ، ولا ننسى هذا المنهل الأصيل القديم ، لأنّ فيه الخير كل الخير .

وإليك ما اخترتُ لك من فصول (كتاب الحيوان) ، وما ارتضيت أن أجلوَه على من يتصدّى لدراسة هذا الأدب الخالد ، من جاحِديه ومن المؤمنين به .

أمّا الجاحدون به فليدخُلَ الإيمانُ فى قلوبهم . وأمّا المؤمنون فليزدادُوا إيماناً مع إيمانهم .

وبالله التوفيق ،،

مصر الجديدة فى ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٧٦
١٠ من يونية سنة ١٩٥٧

عبد السلام محمد هارون

هذه الطبعة الثانية

كان هذا منذُ أكثرَ من رُبع قرنٍ من الزمان ، حين ظهرت الطبعة الأولى من تهذيب الحيوان ، ونَفِدت أعدادها ، وأضحت عزيزة المنال .

ولم يتسع الوقت لإعادة الطبع إلا بمشيئة الله الذى قَدّر لكل شئ سببه ، ووقته وزمانَه ، لا يستأخر عنه ساعةً ولا يتقدّم . فكان مِن فضْله أن استنجزّنى الإخوان أن تظهر هذه الطبعةُ فى هذا الثوب الجديد ، فأجبتُ معتمداً على عون الله .

وكان كتابنا هذا فى جزأين صغيرين ، فجعلة جزءاً واحداً مجتمعَ الشَّمل ، وأضَفْت إلى فهارسه فهرساً جديدا هو فهرس اللُّغة التى فسَّرها الجاحظ أو قمتُ أنا بتفسيرها ، وميّزت بين هذه وتلك .

وأرجوا أن يحقّق هذا العملُ ما رجوته منه من تأنيس شُداة الأدب العربى الأصيل ، وتقريبهم إلى المنابع الثريّة من منابع العروبة الصادقة ، وتقريب هذه الأصول الفارعة من أصول التراث العربى إلى المثقفين المعاصرين فى أقطار الدنيا ، ملتزماً فى هذا التهذيب كما التزمت من قبل فى تهذيب سيرة ابن هشام ، وتهذيب إحياء علوم الدين للغزالى ، أن يكون كل كتاب منها « طوع يمين الفتى ، فلا يستثيره ما يستثير الشباب ، وأن يكون فى خِدْر الفتاة الأدبية فلا يخدش خفرها واستحياءها ، بل يكون صاحباً لها أمينا [(1)] » .

والله المسئول أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، ومنه التوفيق ،،

مصر الجديدة فى ٢٥ من شوال سنة ١٤٠٣ هـ
٤ من أغسطس سنة ١٩٨٣ م .

عبد السلام محمد هارون

---

(١) انظر هذه المقدمة ص ١٣ – ١٤ . وقد التزمتُ فى جميع نصوص التهذيب هنا وهناك أن تكون مطابقة لأصلها حفاظا على الأمانة العلمية .